

تاج العروس من جواهر القاموس

قال ابنُ دُرُسْتَوَيْهٍ : اِحْتَجَّ بهما أُمَّةُ اللَّغَةِ على اختصاصِ الادِّلاجِ بسَيْرِ آخرِ الليلِ . انتهى . فبينَ الإدلاجِ والادِّلاجِ العمومُ والخُصوصُ من وجِهٍ يشْتَرِكَانِ في مُطْلَاقِ سَيْرِ اللَّيْلِ وَيَنْفَرِدُ الإدلاجُ المَخْفَفُ بالسَّيْرِ في أَوَّلِهِ وَيَنْفَرِدُ الادِّلاجُ المَشْدَدُ وبالسَّيْرِ في آخِرِهِ . وعند بعضهم أَنَّ الإدلاجِ المَخْفَفَ أعمُّ من المَشْدَدِ فمعنى المَخْفَفِ عندهم سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ ومعنى المَشْدَدِ السَّيْرُ في آخِرِهِ وعليه فَيَذْنِبُهُمَا العمومُ المُطْلَاقُ إِذْ كُلُّ إدلاجٍ بالتخفيفِ ادِّلاجٌ بالتشديدِ ولا عَكْسَ وعلى هذا اقتصرَ الزُّبَيْرِيُّ في مُختصرِ العَيْنِ والقاضي عياضٌ في المشارِقِ وغيرُهُما المصنِّفَ ذَهَبَ إِلى ما جرى عليه ثعلبٌ في الفصحِ وغيرُهُ من أُمَّةِ اللَّغَةِ وجعلوه من تحقيقاتِ أَسْرَارِ العربِ . وقال بعضهم : الإدلاجُ : سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ والاسمُ منه الدِّلاجَةُ بالضمِّ . وقال ابنُ سيده : الدِّلاجَةُ بالفتحِ والإِسْكانِ : سَيْرُ السَّحَرِ والدِّلاجَةُ أَيضاً : سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ والدِّلاجَةُ والدِّلاجَةُ بالفتحِ والضمِّ مع إِسْكانِ اللامِ والدِّلاجُ والدِّلاجَةُ بالفتحِ والتحرِيكِ فيهما : السَّاعَةُ من آخرِ اللَّيْلِ وأَدلاجوا : سَارُوا مِنْ آخِرِهِ وادِّلاجُوا : سَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ . وقيل : الدِّلاجُ : اللَّيْلُ كُلُّهُ من أَوَّلِهِ إِلى آخِرِهِ حكاة ثعلبٌ عن أَبِي سُلَيْمَانَ الأَعْرَابِيِّ وقال : أَيُّ سَاعَةٍ سِرَّتَ من أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلى آخِرِهِ فقد أَدلاجتَ على مِثَالِ أَخْرَجتَ . وَأَنكرَ ابنُ دُرُسْتَوَيْهٍ التَّفْرِيقَةَ من أَصلِها وزعمَ أَنَّ معناهما معاً سَيْرُ اللَّيْلِ مُطْلَقاً دونَ تَخْصِيصِ بَأَوَّلِهِ أو آخِرِهِ وَعَلَا طَ ثَعْلِباً في تَخْصِيصِهِ المَخْفَفَ بَأَوَّلِ اللَّيْلِ والمَشْدَدَ بآخِرِهِ وقال : بل هُما جَمِيعاً عندنا سَيْرُ اللَّيْلِ في كُلِّ وَقْتٍ من أَوَّلِهِ ووَسطِهِ وآخِرِهِ وهو إِفْعَالٌ وافْتِعَالٌ من الدِّلاجِ والدِّلاجُ : سَيْرُ اللَّيْلِ بِمَنْزِلَةِ السُّرَى وليس واحداً من هذينِ المِثَالَيْنِ بَدِيلٌ على شِدْءٍ من الأَوْقَاتِ ولو كان المِثَالُ دَلِيلاً على الوَقْتِ لكان قولُ القائلِ الاسْتِدلاجُ على الاسْتِفعالِ دَلِيلاً أَيضاً لِوَقْتِ آخِرِ وكان الانْدلاجُ لوقتِ آخرِ وهذا كُلُّهُ فاسدٌ . ولكنَّ الأَمْثِلَةَ عندَ جَمِيعِهِم مَوْضُوعَةٌ لِاخْتِلافِ مَعَانِي الأَفْعَالِ في أَنفُسِنَا لِاخْتِلافِ أَوْقَاتِها . قال : فَأَمَّا وَسَطُ اللَّيْلِ وآخِرُهُ وَأَوَّلُهُ وَسَحَرُهُ وَقَبِيلُ النَّوْمِ وبعْدَهُ فمما لا تَدُلُّ عليه الأَفْعَالُ ولا مصادِرُها ولذلك احتاجَ الأَعْشَى إِلى اشتراطِهِ بعدَ المهامِ وزُهِيرٌ إِلى سَحَرِهِ

وهذا بمنزلة قولهم : الإِبْكَارُ والابْتِكَارُ والتَّبْكَيرُ والبُكُورُ في أَرْزَه كُلَّه
العملُ بِكُورَةٍ ولا يَتَغَيَّرُ الوقتُ بتغْيِيرِ هذه الأَمْثَلَةِ وإِنْ اخْتَفَلَتْ
مَعَانِيهَا واحتجَّهم ببيتِ الأَعشى وزُهِيرِ وَهَمٌ وَغَلَطٌ وإِنَّمَا كُلُّ واحدٍ من
الشاعرينِ وَصَفَ ما فَعَلَهُ دونَ ما فَعَلَهُ غيرُهُ ولولا أَنَّهُ يكونُ بسُحْرَةٍ
وبِغْيَرِ سُحْرَةٍ لما احتجَّ إِلى ذِكْرِ سُحْرَةٍ فَإِنَّه إِذا كان الِادِّلاجُ بسُحْرَةٍ
وبِعْدِ المَنامِ فقد استغنى عن تقييده قال : ومما يُوَضِّحُ فَسَادَ تَأْوِيلِهِم أَنَّ
العَرَبَ تُسَمَّى القُنْفُذَ مُدْلاجاً لِأَنَّه يَدْرُجُ باللَّيْلِ وَيَتَرَدَّدُ فيه لا
لأنه لا يَدْرُجُ إِلاَّ في أَوَّلِ اللَّيْلِ أَوْ في وَسْطِهِ أَوْ في آخِرِهِ أَوْ في كُلِّه
ولكنَّه يَظْهَرُ باللَّيْلِ في أَيِّ أَوْقاتِهِ احتجَّ إِلى الدُّرُوجِ لِطَلابِ عِلَافِ
أَوْ ماءٍ أَوْ غيرِ ذلك قال شيخُنَا قال أبو جعفر اللَّيْلِ في شَرْحِ نَظْمِ الفَصحِ :
هذا كلامُ ابنِ دُرُسْتَوَيْهٍ في رَدِّ كَلَامِ ثَعْلَبِ وَمَنْ وافقَه من اللُّغويينِ .
قلت وَأَنْشَدُوا لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

" اصْبِرْ عَلَيَّ السَّيْرُ وَالإِدْلاجُ فِي السَّحَرِ وَفِي الرَّوَّاحِ عَلَيَّ الحَاجَاتِ
والبُكَرِ فَجَعَلَ الإِدْلاجُ فِي السَّحَرِ وَيُنْظَرُ هذا مع قولِ المُصَنِّفِ : الإِدْلاجُ
في أَوَّلِ اللَّيْلِ : وَأَمَّا قولُ الشَّامِّاخِ : .
وتَشْكُو بِعَيْنِ ما أَكَلَّ رِكابِها . . . وقيلَ المُنادي : أَصْبِحَ القَوْمُ
أَدْلَجِي